مجدي وعدو...يطفئ جوالك وجوعك معا!

حينما تفرغ من فيلم وثائقي لمجدي عبد العزيز وعدو، ستصفق ستصفق حتى تتعب! ظللت طويلاً أبحث عنه منذ أول أعماله (على خطى الرسول) حتى (هجرة الحضارة) ممتلئا بسؤال واحد يتعاظم في أعماقي: من أين له هذا؟! إنه موهبة جديرة بالتوقف والتأمل.

ولد مجدي عام ١٩٧٠م في المدينة المنورة. وترعرع في حي المغيسلة الذي يشبه متحفا مفتوحا.

نافذة صغيرة في مدرسة حسان بن ثابت الابتدائية، الواقعة في منطقة المساجد السبعة جعلته يتعلق مبكرا بالتاريخ. كان معلم الاجتماعيات يشرعها عند الحديث عن غزوة أحد. ويدعو الطلاب بانتظام إلى الاصطفاف أمامها، بمن فيهم مجدي،

لرؤية جبل أحد الذي دارت على سفحه المعركة الشهيرة. يؤمن مجدي بأن تلك النافذة تجعله يفتح رأسه وفمه معا كلما وقف بمحاذاتها، وأنها كانت خلف أول أعماله الوثائقية الذي عرضته شاشة «العربية» وحقق نجاحا واسعا.

ويعزو مجدي الحاصل على البكالوريوس في القانون من جامعة الملك عبد العزيز في جدة عمله في الصحافة بعد تخرجه إلى ولعه بهذه المهنة منذ نعومة أظفاره. فقد كان والده يطعمه وأشقاءه ورقا. يقول: «كان والدي يأتي يوميا إلى المنزل متأبطا كل الصحف السعودية دون استثناء. كنا نلتهمها التهاما. وكان يكافئني وشقيقي ماهر عندما يشاهدنا ونحن نأكلها».

وازداد شغفه بهذه المهنة، عندما حضر أثناء مراهقته مع والده مناسبة خاصة وُجد فيها الزميل الأستاذ جمال خاشقجي، حينما كان يعمل في صحيفة «المدينة». يقول: «خطف جمال الأضواء من الجميع. الكل كان حوله كنمل أمام قطعة سكر.

الجميع يسأله عن مواضيع ومقالات نشرها ونشرتها الصحيفة التي يعمل لها»، وكان مجدي يتابع ما يجري بانبهار وخشوع كبيرين، ما جعله يسأل نفسه: «كيف أصبح مثله؟».

في عام ١٩٩٢م استهل حلمه بانضمامه إلى الشركة السعودية للأبحاث والتسويق. عمل لمدة ٦ سنوات في مطبوعتي الشركة: «الشرق الأوسط» و«الاقتصادية». ثم انتقل للعمل في مكتب صحيفة «الحياة» في جدة من ١٩٩٨م حتى ٢٠٠٢م. ثم عمل محررا للأخبار في مجموعة «MBC» و «العربية» التي كانت تستعد للانطلاق في تلك الفترة.

لم يكن انفصال مجدي عن الإعلام المقروء وارتباطه بالمرئي يسيرا. فقد كان يجد في الصحافة المقروءة «متعة حقيقية»، لكن محاولات رفيقيه تركي الدخيل الذي زامله طويلا في «الحياة» وانتقل قبله لـ «MBC»، وعمر المضواحي آتت أكلها.

يقول: «أنا مدين لهما. فهما اللذان مهدا لي طريق الدخول إلى عالم التلفزيون».

بداية عمله في التلفزيون كانت استكشافاً وانبهاراً، لكن الفرح لم يدم طويلا. غرفة أخبار «العربية» لم ترق له، ما دعاه إلى شد الرحال لمدير الأفلام الوثائقية في مجموعة «MBC»، الزميل فادي إسماعيل وعرض عليه فكرة عمل (على خطى الرسول) الذي وافق عليه على مضض بعد محاولات وجولات عدة.

فوجئ مجدي بالنجاح المدوي لباكورة أعماله. يتذكر عرضه الأول: «كنت أقضي إجازتي في منزلي في جدة في شهر رمضان. وكنت أتوقع فشلا ذريعا له رغم أنني أقف خلفه. لكن فور أن عرض العمل هطلت عليّ التهاني والتبريكات من كل مكان».

وعرض العمل أكثر من ثلاث مرات على شاشة «العربية»، فضلا عن عدد من القنوات العربية الأخرى، مثل: تلفزيون الكويت، وقناة الرسالة، والقناة المغربية الثانية، وغيرها، ما دفعه إلى المضي قدما في تطوير أدواته وإنتاج وكتابة أعمال يتفوق من خلالها على نفسه.

بالفعل، انخرط مجدي في دورات متخصصة عديدة، وحضر ورش عمل مختلفة، وشاهد أفلاما وثائقية غفيرة، ثم بدأ في صناعة أعمال جديدة.

وقد لاقت أعماله العديدة وفي مقدمتها: «الحج أشهر وأيام معلومات»، و«قتل أصحاب الأخدود» و«كن أبا ذر» و«هجرة الحضارم» نجاحا لافتا، جعله رقما مهما في عالم الأفلام الوثائقية العربية بسرعة قياسية، وسيُعرض له وشيكا عمل ضخم بعنوان: «الفتوحات».

ولم يأت هذا النجاح من فراغ، فمجدي لا يسلق، ويعتقد حد الاعتناق أن العمل العظيم يطبخ بتأن، فقد استغرق عمل (هجرة الحضارم) ٢٢ شهراً، كما أنفق سنوات عديدةً في إنتاج أعماله الأخرى.

وسر نجاح وعدو قدرته على العمل الجماعي، فهو كالنجوم لا تبدو وحيدة. لمع مع فريق مدهش يبرز فيه صوت المذيع رياض عاشور، والفنان العراقي الرائع سرمد الموسوي الذي يعزف الخلفية الموسيقية لأفلامه.

يشجع الصحفي الأمريكي السابق في صحيفة شيكاغو سيتي، مارك جونثان هاريس، وصانع الأفلام الوثائقية الشهير، والحائز الأوسكار مرتين، الأفلام الوثائقية التي ينتجها صحفيون سابقون «إنهم يجعلونك تطفئ جوالك، وجوعك خلال مشاهدة أعمالهم. تفاصيلها الصغيرة تسيطر عليّ وتقتادني. إنني منحاز لهم قلبا وعقلا».

وأنحاز لمجدي أيضا إثر وعيه الصحفي الذي يتخلل كل أعماله، وحرفيته التي تسكن أفلامه، وابتسامته التي لا تهجر وجهه وصوته، وإصراره على الوصول إلى حلمه.

ويسحرني كذلك صمته، وحرصه على البقاء في الظل طويلا. فهو يعتقد أنه من الواجب ألا يتكلم ولا يظهر إلا لماما، ويظل يعمل و يتعلم ويتعلم.

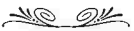

نشر في يوم الجمعة ٢٨ شعبان ١٤٢٩هـ الموافق ٢٩ أغسطس ٢٠٠٨م

obeikandl.com